عيش حياة الرجاء في المجيء

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: إنجيل لوقا ١٨: ١-٨؛ إنجيل متى ٢٤-٢٥؛ ١كورنثوس ١٥: ١٢-١٩؛ الجامعة ٨: ١٤؛ الجامعة ١٢: ١٣، ١٤؛ رؤيا يوحنا ٢١: ١-٥؛ رؤيا يوحنا ٢٢: ١-٥.

آية الحفظ: «إذًا يا إخوتي الأحباء، كونوا راسخين، غير متزعزعين، مكثرين في عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلًا في الرب» (١كورنثوس ١٥: ٥٨).

أعلن يسوع ملكوت الله كحقيقة حالية نستطيع أن نكون جزءًا منها اليوم. وقد أرسل تلاميذه لإذاعة نفس ذلك الإعلان ولتثبيت مملكته من خلال كرازة الإنجيل والأخبار السارة ومن خلال خدمة الآخرين؛ أي، بالعطاء بسخاء كما أخذوا هم مجانًا (انظر إنجيل متى ١٠: ٥-٨).

ولكن يسوع كان واضحًا أيضًا بأن مملكته كانت نوعًا مختلفًا من الممالك — «ليست من هذا العالم» (إنجيل يوحنا ١٨: ٣٦) — ومع ذلك ستأتي بالكامل. ومن خلال تجسده، وخدمته، وموته، وقيامته، افتُتِحَت مملكة الله، ولكن يسوع كان يتطلَّع أيضًا إلى الأمام إلى وقت عندما ستحل مملكته محل ممالك هذا العالم، ويُصبح حُكم الله كاملًا.

وفقًا للتعريف، يُعتبر الأدفنتست — أولئك الذين ينتظرون هذا المجيء وهذه المملكة — هم شعب رجاء. ولكن هذا الرجاء لا يتعلَّق فقط بعالم جديد في المستقبل. فبينما يتطلَّع الرجاء إلى المستقبل، فالرجاء يُحوِّل ويُغيِّر الحاضر الآن. برجاءٍ كهذا، فإننا نعيش في الحاضر كما نتوقع أن نعيش في المستقبل، ونبدأ في العمل لإحداث تغيير الآن في مجالات تتناسب مع ما نتوقَّع أن يكون عليه العالم يومًا ما.

* نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ١٤أيلول (سبتمبر).

«حتى متى يا رب؟»

عبر كل قصة الكتاب المقدس، هناك دعوة متكررة من شعب الله — خاصة أولئك الذين يقاسون من العبودية، والنفي أو السبي، والظلم، والفقر، أو مظالم أخرى أو مآسي — لأن يتدخل الله. العبيد في مصر، الإسرائيليون في بابل، وآخرون كثيرون صرخوا إلى الله ليسمع وينظر إلى معاناتهم ويُصحِّح هذه الأخطاء. ويُقدِّم الكتاب المقدس أمثلة مهمة لأفعال الله لينقذ ويسترد شعبه، تصل أحيانًا إلى حد الانتقام من ظالميهم وأعدائهم.

ولكن حالات الإنقاذ تلك عادة ما كانت قصيرة المدى، واستمر الأنبياء على اختلافهم يشيرون قُدَمًا إلى التدخل النهائي، عندما سيضع الله نهاية للشر ويرفع المنسحقين. في نفس الوقت، استمر هؤلاء الأنبياء في رفع صرخة: «حتى متى يا رب؟» فمثلًا، سأل ملاك الرب عن سبي الإسرائيليين: «يا رب الجنود، إلى متى أنت لا ترحم» (زكريا ١: ١٢)؟

تمتلئ المزامير بالمراثي عن الازدهار والثراء الظاهر على الأشرار بينما الأبرار يُذلُّون، ويُساء إليهم، ويُظلمون. ويدعو صاحب المزامير الله بشكل متكرر لأن يتدخل، واثقًا بأنَّ العالم حاليًا لا يسير حسب النظام الذي خلقه الله وفقًا له أو صممه، ويستأنف صرخة الأنبياء والمظلومين. «حتى متى... يا رب» (انظر، مثلًا مزمور ٩٤: ٣-٧).

بمعنى ما، إنَّ تحمُّل الظلم هو أكثر صعوبة وسط أولئك الذين يؤمنون بإله عادل يرغب في العدل لكل شعبه. سيظل لدى شعب الله دائمًا إحساس بنفاذ الصبر تجاه الشر في العالم — وعدم تدخُّل الله الظاهر يضيف عنصرًا آخر لنفاذ الصبر. وهكذا، تأتي الأسئلة القاسية أحيانًا للأنبياء: «حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع؟ أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تُخلِّص؟» (حبقوق ١: ٢).

صرخة مماثلة وردت في العهد الجديد، حيث أنَّ الخليقة نفسها تُصوَّر كأنها تئن وتصرخ إلى الله لينقذها ويجددها (انظر رومية ٨: ١٩-٢٢). في رؤيا يوحنا ٦: ١٠، يتم تناول هذه الصرخة «حتى متى يا رب» — بالنيابة عن أولئك الذين استشهدوا من أجل إيمانهم بالله. ولكنها هي نفس الصرخة، تدعو الله لأن يتدخَّل بالنيابة عن شعبه المظلوم والمضطهد.

اقرأ إنجيل لوقا ١٨: ١-٨. ما الذي يقوله يسوع حول استجابة الله لصرخات وصلوات شعبه المتكررة ليتصرَّف ويفعل من أجلهم ونيابة عنهم؟ كيف يرتبط هذا مع الحاجة إلى الإيمان؟

نوع معين من الرجاء

غالبًا ما كانت الديانة موضع انتقاد بسبب نزعتها لجذب المؤمنين بعيدًا عن الحياة الحاضرة والآنية نحو نوع أفضل من الحياة بعد الموت. والانتقاد يأتي من أنَّ التركيز على عالم آخر أو مملكة أخرى يصبح شكلًا من أشكال الهروب المُبرّر ويجعل المؤمن أقل نفعًا للعالم وللمجتمع. أحيانًا، كان المؤمنون يتقبَّلون مثل هذه الانتقادات، وفي بعض الأحيان وصلوا إلى حدِّ تشجيعها، والمناداة بها، وممارسة تلك التوجهات والتصرفات.

وكذلك أيضًا لدينا أمثلة رهيبة لمن هم في السلطة يخبرون الفقراء والمظلومين أن يقبلوا نصيبهم المزري في الوقت الحاضر لأنه، عندما يعود يسوع، سوف يصلح كل شيء.

نعم، إنَّ عالمنا ساقط ومُحطَّم ومأساوي — وليس هناك من خطأ أن نشتاق ونتوق إلى الوقت الذي سيضع الله العالم في نصابه؛ حين يضع نهاية للظلم والألم والحزن؛ وعندما ستحل مملكته المجيدة والبارَّة محل الفوضى الحالية. وعلى أي حال، فبدون ذلك الرجاء، وبدون ذلك الوعد، ليس لنا رجاء على الإطلاق.

في عظته عن نهاية العالم (انظر إنجيل متى ٢٤ و٢٥)، أمضى يسوع النصف الأول من طرحه مفصلًا الحاجة إلى الهروب، إلى درجة وصوله إلى حد قوله: «ولو لم تقصر تلك الأيام، لم يخلص جسد» (إنجيل متى ٢٤: ٢٢). ولكن هذا كان كمقدمة لتفسيره عن أهمية وعود الله تلك. فالتركيز فقط — أو حتى مبدئيًا — على جانب ‹الهروب› لرجاء المسيحي من أجل المستقبل سيُفوِّت علينا النقاط الأكثر عمقًا التي كان يسوع يتكلم عنها ويُشير إليها.

اقرأ إنجيل متى ٢٤، ٢٥. ما أهم النقاط التي استخلصتها من قراءتك لموعظة يسوع هذه؟ كيف تلخص توصيات يسوع عن كيف ينبغي لنا أن نعيش ونحن ننتظر عودته؟

إنَّ ما نؤمن به بخصوص المستقبل له تأثيرات مهمة على كيفية عيشنا وحياتنا الآن. فاتكالنا الصحيح والكلي على وعود الله وعن المستقبل الذي أعدَّه لعالمنا يجب أن يكون الحافز للانخراط بنشاط، والشرارة لحياة غنية وعميقة تحدث فرقًا لدى الآخرين.

كيف يمكن ويجب أن يؤثر الرجاء والوعد بمجيء المسيح على طريقة عيشنا وحياتنا الآن، خاصة في سياق مساعدة المحتاجين؟

رجاء القيامة

إن رجاء المسيحي في مجيء المسيح الثاني ليس لمجرد التطلُّع إلى مستقبل مشرق. بالنسبة للمسيحيين الأوائل، أعطت القيامة الجسدية ليسوع حقيقة راسخة ومتينة لوعده بالعودة. فإذا كان في قدرته أن يعود من الموت — وذلك ما شهدوه بأنفسهم — فمن المؤكد بأنه سيعود ليكمل مشروع نزع وإزالة الخطية وآثارها وتجديد العالم (انظر ١كورنثوس ١٥: ٢٢، ٢٣).

بالنسبة للرسول بولس، كانت القيامة هي العنصر الرئيسي لرجاء المجيء. لقد كان على استعداد لأن يُراهن بمصداقية كل شيء بشَّر به مقابل تلك المعجزة التتويجية في قصة يسوع: «وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل إيمانكم» (١كورنثوس ١٥: ١٧). تأمل في كلماته هنا وبمدى أهمية قيامة المسيح بالنسبة لكل ما نصبو إليه ونرجوه.

اقرأ ١كورنثوس ١٥: ١٢-١٩. كيف تستطيع أن تشرح لشخص غير مؤمن ولكنه مُهتم، لماذا تُعد حقيقة القيامة أمرًا محوريًا للرجاء المسيحي؟

إنَّ مشاهدتهم ليسوع المُقام غيَّرت التلاميذ الأوائل. وكما رأينا، كان يسوع قد أرسلهم سابقًا ليعلنوا ويثبتوا ملكوت الله (انظر إنجيل متى ١٠: ٥-٨)، ولكن موت يسوع حطَّم شجاعتهم وسحق آمالهم. لكن مأموريتهم الأخيرة (انظر إنجيل متى ٢٨: ١٨-٢٠)، التي أعطاها لهم يسوع المُقام والتي تقوَّت بواسطة حلول الروح القدس (انظر أعمال الرسل ٢: ١-٤)، وضعتهم على طريق تغيير العالم وعيش حياة الملكوت التي أسسها يسوع.

وإذ تحرروا من الخوف من الموت وقوَّته، عاش المؤمنون الأوائل وشاركوا بشجاعة باسم يسوع (انظر، مثلًا، ١كورنثوس ١٥: ٣٠، ٣١). إنَّ الشر الذي يجلب الموت هو نفس الشر الذي يجلب الألم، والظلم، والفقر، والقهر بجميع صوره وأشكاله. ومع ذلك، بسبب يسوع وانتصاره على الموت، فإنَّ كل هذا سينتهي يومًا ما. «آخر عدو يبطل هو الموت» (١كورنثوس ١٥: ٢٦).

في نهاية المطاف، بغض النظر عمَّن نساعد الآن، فإنَّهم جميعًا سيموتون أخيرًا على أي حال. ما الذي تُعلِّمنا إياه هذه الحقيقة القاسية عن أهمية أن نجعل الآخرين يعرفون عن الرجاء الذي يمكنهم أن يجدوه في موت وقيامة يسوع؟

رجاء الدينونة

اقرأ الجامعة ٨: ١٤. بأيَّة طرق ترى الحقيقة الصارخة والقوية لما هو مكتوب هنا؟

في حين أنَّ احتمال الألم والظلم والمآسي صعب في حدِّ ذاته، إلا أنّ احتمال الأذى أو الإهانة أكثر صعوبة إذا بدت أنها بلا معنى أو غير ملحوظة. وإنَّ احتمال عدم جدوى الحزن هو أثقل من عبئه الفعلي. عالم بدون سجل أو عدالة نهائية هو قمة الوحشية السخيفة. فلا عجب أن يتباكى الكُتَّاب الملحدون، في القرن العشرين، ويرثون لحالة البشر عما اعتقدوا أنها ‹سخافة›. فبدون رجاء في عدالة، وبدون رجاء في دينونة، وبدون رجاء في إصلاح، سيكون عالمنا بالفعل عالمًا سخيفًا.

ولكن الصرخة في الجامعة ٨: ١٤ ليست نهاية القصة. ففي نهاية اعتراضاته، يأخذ سيلمان منحىً مفاجئًا. وفي وسط مراثيه حول عدم جدوى شيء واللامعنى، يقول، أساسًا: توقَّف لحظة، الله سيُقاضي ويدين، إذًا كل شيء ليس بلا معنى؛ وفي حقيقة الأمر، الآن كل شيء وكل شخص له أهمية.

اقرأ الجامعة ١٢: ١٣، ١٤. ما الذي تقوله لنا هذه الآيات عن مدى أهمية كل ما نفعله هنا؟

إنَّ رجاء الدينونة يتلخَّص فيما يؤمن به الشخص عن جوهر طبيعة الله، والحياة، والعالم الذي نعيش فيه. وكما رأينا، فإنَّ الكتاب المقدس يؤكد بإصرار على أننا نعيش في عالم خلقه الله ويحبه، ولكنه عالم سلك مسلكًا خاطئًا والذي يعمل الله حسب خطته لإعادة خلقه، من خلال حياة وموت يسوع. إنَّ دينونة الله هي جزء أساسي في إصلاح الله لعالمنا. بالنسبة لأولئك الذين يستلمون ويتلقون الكثير من أخطاء العالم — أولئك الذين تم تهميشهم، وعوملوا بوحشية، وظلموا، واستغلوا — فإنَّ وعد الدينونة بالنسبة لهم هو بالتأكيد أخبار سارة.

ما الذي يعنيه لك أن تعرف، أنه في يوم ما، وبطرق لا نستطيع تخيلها، أنَّ العدل الذي نشتاق إليه كثيرًا الآن سيحل أخيرًا؟ كيف يمكننا أن نستخلص رجاءً من هذا الوعد؟

الخميس

١٢ أيلول (سبتمبر)

لا حزن ولا وجع فيما بعد

اقرأ رؤيا يوحنا ٢١: ١-٥؛ رؤيا يوحنا ٢٢: ١-٥ واقضِ بعض الوقت محاولًا أن تتخيَّل ما ستكون عليه الحياة وفقًا لما وُصِفَت عليه هنا. لماذا يصعب تخيُّل حياة بدون خطية، ولا موت، ولا وجع، ولا دموع؟

إنَّ وصف الكتاب المقدس لحياتنا بعد الخطية هو بلا جدال أمر رائع ومجيد ومن دون أدنى شك لا يكاد يُمثِّل ما ينتظرنا. وحتى في هذه الآيات، فإنَّ الأوصاف هي تقريبًا أكثر حول ما لن يكون هناك عمَّا سيكون هناك. عندما يكون هذا العالم هو كل ما عرفناه، يكون من الصعب أن نتخيَّل حياةً بدون ألم ومعاناة، بدون موت وخوف، بدون ظلم وفقر.

ليس فقط أنه لن توجد هذه الأشياء فيما بعد، بل أن هذا الوصف يضيف لمسة شخصية: «وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم» (رؤيا يوحنا ٢١: ٤). وفي حالة أولئك الذين خلصوا، فإنَّ عطف ورأفة الله لأولئك الذين قاسوا المُعاناة عبر التاريخ البشري يصل إلى ذروته في هذه العبارة الواحدة. فهو لا يضع فقط نهاية لمعاناتهم، ولكنه شخصيًا يمسح دموعهم.

مضروبون ومجروحون من حياة الخطية وعالم من الظلم والمآسي، يمكننا أن نرى في سفر الرؤيا تلميحات إلى عملية الشفاء لنا جميعًا نحن الذين كنا ضحايا الخطية بطرق مختلفة. في وصفه لشجرة الحياة، يفسِّر يوحنا أنَّ «ورق الشجرة لشفاء الأمم» (رؤيا يوحنا ٢٢: ٢). مرة أخرى، يظهر الله تفهمه وتعاطفه مع ما يعنيه أن تكون إنسانًا، يشعر ويختبر ويَشْهَد، بل حتى ويشترك في شرور هذا العالم. إن خطته لإعادة خلق عالمنا تتضمن استرداد وشفاء كل واحد منا.

وإلى ذلك الوقت، نسعى نحن لأن نكون كل ما نستطيعه في المسيح، نقوم بدورنا، مهما كان متعثرًا أو ضئيلًا، لخدمة أولئك الذين هم حولنا الذين يحتاجون إلى ما يمكننا أن نوفره لهم. أيًّا كان ذلك — كلمات طيبة، وجبة ساخنة، مساعدة طبية، مُعالجة الأسنان، ملابس، أو تقديم مشورة — أيًّا كان ما يمكننا القيام به علينا أن نؤديه بمحبة ناكرة للذات، متواضعة، مضحية، تلك المحبة التي أظهرها يسوع عندما كان هنا على الأرض.

بالطبع، سيزداد العالم سوءًا أكثر وأكثر، رغم أقصى مجهوداتنا. كان يسوع يعلم ذلك؛ ولكن بالرغم من ذلك، لم تمنعه هذه الحقيقة من خدمة الآخرين، ولا يجب أن توقفنا نحن أيضًا.

الجمعة

١٣ أيلول (سبتمبر)

لمزيد مِن الدرس: اقرأ لروح النبوة، من كتاب أعمال الرسل، الفصل الذي يحمل

عنوان «مدعوون لبلوغ مقياس أسمى»، صفحة ٢٦٤-٢٧٥؛ ومن الصراع العظيم، الفصل الذي يحمل عنوان «خراب الأرض»، صفحة ٧٠٦-٧١٤.

«وعندما يرد صوت الله سبي شعبه ستكون يقظة مخيفة للذين قد خسروا كل شيء في معركة الحياة العظيمة. ففي أثناء زمن النعمة أعمتهم مخادعات الشيطان وبرروا مسلكهم وهم سائرون في الخطيئة. فالأغنياء تفاخروا بتفوقهم على من كانوا أقل منهم في الغنى، لكنهم كانوا قد حصلوا على ثروتهم بانتهاك شريعة الله. لقد أهملوا إطعام الجياع وتقديم كساء للعراة والسلوك بالعدل ومحبة الرحمة... لقد باعوا نفوسهم بغنى الأرض وتنعماتها ولم يطلبوا أن يكونوا أغنياء فيما هو لله. والنتيجة هو أن حياتهم كانت فشلًا ومسراتهم استحالت الآن إلى مرارة وكنوزهم صارت فسادًا» (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٧٠٦-٧٠٧).

«لقد انتهى الصراع العظيم. وما عاد للخطيئة أو للخطاة وجود. وقد صارت المسكونة كلها طاهرة. وفي عاطفة واحدة من الوفاق والفرح يشترك كل الخلائق. ومن ذاك الذي قد خلق الجميع تفيض الحياة والنور والبهجة في كل الأقاليم في الفضاء الذي لا حدود له. فمن أصغر ذرة إلى أعظم كوكب، من حي إلى جماد، بجمالها وكمالها — كلها تشهد شهادة واحدة قائلة: الله محبة» (روح النبوة، الصراع العظيم، صفحة ٧٣٢).

أسئلة للنقاش

١. اشرح كيف أنَّ ما درسته هذا الأسبوع يظهر أنَّ الحياة، هُنا وفي الوقت الحاضر، مهمة. قارن هذا مع الاعتقاد الذي يتمسَّك به البعض بأنه لا يجب أن نقلق بشأن هذه الحياة وهذا العالم لأن الله سيهلكه كله ويبدأ من جديد. كيف يمكننا أن نكون حذرين، أيضًا، من ألا نستخدم هذا الحق الخاص بوعد الوجود الجديد لإهمال الذين هم في احتياج (على كل حال، في النهاية، سيضع الله كل شيء في نصابه)؟ والأسوأ من ذلك، كيف يمكننا التأكُّد من أننا لن نُصبح من ضمن أولئك الذين يستخدمون هذا الحق لاستغلال الآخرين؟

٢. إنَّ فهم الأدفنتست السبتيين لنبوة الكتاب المقدس تتوقَّع ازدياد الشر، والمشاكل، والألم إذ نقترب أكثر من عودة يسوع. عندما تحدث مثل هذه الأشياء، غالبًا ما نُشير إلى إنجيل متى ٢٤. كيف علينا أن ننظر إلى هذه المآسي في ضوء إنجيل يوحنا ٢٥؟

ملخص: لن يسمح إلهنا بأن يستمر الشر إلى الأبد. إنَّ رجاء الكتاب المقدس العظيم هو عودة يسوع ليضع نهاية للشر، وليعالج الظلم، وليخلق عالمًا جديدًا كما كان قصد الله له أن يكون. وبناءً على قيامة يسوع، فإنَّ هذا الرجاء يُغيِّرنا اليوم ويُعطينا شجاعة في خدمتنا لله وللآخرين إذ ننتظر عودة المسيح.